متاهات التبسيط و التنميط (الحلقة الرابعة)

صلاح المختار

دائماً اكره الخطأ ، لكن لا تكره المخطئ

الإمام الشافعي

لفت نظر

هذه الدراسة كتبت وارسلت لجريدة القدس العربي التي نشرت مقال السيد عبدالحليم قنديل ردا على طروحاته لكن الصحيفة لم تنشر الرد وانتظرت اكثر من ثلاثة اسابيع املا نشره لكنها مع الاسف لم تنشره والرد بالنسبة للصحافة الحرة حق مشروع في الاعلام الذي يؤمن حقا بحرية الرأي ويمارسها فعلا لا قولا او بصورة انتقائية ، لذلك اقتضى نشر هذا التوضيح .

صلاح المختار

إن القصدية الخاطئة اللافتة للانتباه في هذه الطروحات تظهر جلية في المقال بقلب الكاتب لهرم العراق وإيقافه على رأسه المدبب – الجيش – وهو ما يجعل هرم العراق متأرجحاً وقابلاً للسقوط والتحطم عند أول دفعة رغم قاعدته العريضة والمستقرة والراسخة وهي المجتمع والهوية العراقية وهو ما تجاهله كي يسوق فكرة انهيار وزوال العراق ! ، ولأن المجتمع العراقي طبيعي وعريق ومتلاحم عضوياً فإن العراق ورغم حل الجيش بقي مستقراً على قاعدته العريضة – المجتمع – بثبات لم تهزه عملية إبادة أكثر من ستة ملايين عراقي منذ حرب خميني حتى الأن ووجود ثلاثة ملايين أرملة وتهجير ما بين ستة وسبعة ملايين عراقي وإخضاع الشعب للتجويع والأمراض والاضطهاد المتطرف الذي قامت به أمريكا وإسرائيل الشرقية وداعش ومع ذلك بقي العراق وحافظ على لحمته الوطنية .

والكاتب يتجاهل – ولا يجهل – أن الأحزاب العراقية وأبرزها حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي وتجمعات ناصرية صغيرة – اندثرت الآن – كانت تمثل المجتمع العراقي والهوية الوطنية العراقية خير تمثيل وليس الجيش فقط فقد كانت تضم كافة مكونات العراق الدينية والاثنية والتي دفعت إلى الخلف أمام الوطنية العراقية القوية والهوية القومية العربية التي تشكل أكثر من ٨٥ % من سكان العراق ، وكان نضال هذه الأحزاب متمركزاً حول حماية العراق وتحقيق إنجازات للشعب العراقي ، وبهذا المعنى كان الجيش تجسيداً للوحدة الاجتماعية العضوية وتعبيراً عن الهوية الوطنية مثل الأحزاب والتكوينات الأخرى ولم يكن وحده من يمثل الكيان العراقي ، والخلل الجوهري في أطروحات السيد قنديل هو أنه يبسط حالة العراق لدرجة التساذج بجعل الدولة العراقية هشة ومصطنعة ولا تقوم إلا بوجود الجيش فإذا حل الجيش تنتهي الدولة العراقية وتزول وهذا بالضبط ما قاله ! ، وهنا نجد أنفسنا أمام وضع لا يمكننا تجاهله وهو أن هذه الأطروحة غربية وصهيونية معروفة موثقة ونقرأ عنها بصورة تكاد تكون يومية وكانت الخطة الأمريكية تقوم عليها وهي تدمير العراق على أن تكون البداية حل الجيش لضمان نشر الفوضى الهلاكة وصولاً إلى هدف جوهري : تدمير اللحمة الاجتماعية العراقية ! ، وأطروحة قلب هرم العراق وإيقافه على رأسه المدبب – الجيش – مناقضة لإحدى أهم بديهيات ومداميك تاريخ العالم والتي تقول بأن تاريخ الحضارات البشرية يقف على قاعدة عريضة مستقرة فرضت نفسها على كافة المؤرخين اسمها الحضارة السومرية العراقية لأنها كانت الحضارة الأولى المعروفة في التاريخ ! ، وبالتبعية ، نواجه تبسيطاً تلفيقياً ثانياً للواقع يناقض أيضاً واحدة من أهم نتائج غزو العراق بعد ١٤ عاماً وهي أن الواقع العراقي وليس الترويجات الدعائية الغربية أثبت بعد حل الجيش ونشر الفوضى الهلاكة أن المجتمع بقي متماسكاً وقوياً وموحداً وعصياً على التقسيم وأبناء العراق يتمسكون بعراقيتهم ويضعونها فوق أي علاقة سابقة للوطنية والأمة ، رغم كل ما ارتكب من جرائم

إبادة جماعية وتهجير ملايين وهو ما فرض على أمريكا العودة إليه من الشباك بعد طردها من الباب بقوة المقاومة العراقية ! ، وقول السيد قنديل بزوال العراق والتحدث عنه بصيغة الماضي هو إشارة واضحة إما لجهله بحقيقة ما يجري في العراق أو تجاهله للحقيقة المعاشة والعيانية الأمر الذي يجبرنا على استنتاج أنه متأثر بالدعايات الغربية ضد العراق ، فلو كان الأمر كذلك لما تعطل مشروع تقسيم العراق والذي فرضه المحتل بدستور الاحتلال التقسيمي حتى الآن رغم تنفيذ خطط إبادة وتهجير منظمين لملايين العراقيين منذ عام ٢٠٠٦ والتي كان جزء منها يكفي لتقسيم فرنسا وألمانيا مثلاً ، فلم بقي العراق بعد ١٤ عاماً من الاحتلال ؟ ، ولم تستمر الكوارث العراقية لو أن العراق انتهى وكان مفروضاً أن يقسم ؟ ، ولم اشتدت قبل انتخاب ترامب بفترة مرة أخرى حملة ترويج أكذوبة (انتهاء العراق) ؟ ، وما قاله السيد قنديل جاء وسطهاً منساقاً مع موجة دعائية كان أبرز من أطلقها قادة الجيش الأمريكي والمخابرات الأمريكية ، البراغماتيون لا يتوقفون عند كيان زال وانتهى أمره لأنه توقف غير عقلاني ، والأمريكي عقلاني براغماتي لا يهتم إلا بما هو موجود بفعالية ويشكل خطورة على مخططاته ولهذا فإن استمرار محاولات أمريكا التمسك بالعراق وعودتها إليه من الشباك بعد طردها من الباب بقوة المقاومة العراقية ليس إلا تأكيد حاسم على عضوية شعب العراق وأصالته ورسوخ هويته وتعاليها على التقسيم والشرذمة ، وهذا ما نفخر به .

إذا كان العراق قد انتهى واصبح ماضياً لم تزداد عمليات الإبادة التي تقوم بها منظمات إرهابية تتستر بالغطاءين السني والشيعي ويخوض تحالف دولي وإسرائيل الشرقية حرباً أصبح واضحاً أن هدفها تدمير العمران والإنسان وليس هزيمة داعش كما حصل ويحصل في ديالى والأنبار وصلاح الدين ومحيط بغداد والآن في نينوى ؟ ، الإرهاب الدموي المتعاظم ضد شعب العراق سنة ، شيعة ، مسيحيين ، يزيديين ،

صابئة ، عرب ، أكراد وتركمان ليس سوى عمليات هدفها تفكيك اللحمة الوطنية العراقية وإزالة الهوية العراقية التي مازالت واحدة في إطارها العام .

أما الطائفية والاثنية فهي ظاهرة سياسية وليست اجتماعية وروجت لها أحزاب وقوى مسيرة ، ومن تأثر بها من الناس العاديين قلة مقارنة بالأغلبية الساحقة والتي خرجت بعد ١٢ و١٣ عاماً من الغزو والدمار والكوارث تهتف لوحدة العراق وتطالب إسرائيل الشرقية بالخروج من العراق ، وأحد هذه الهتافات التي بثت من شاشات التلفزيون وبالذات من جنوب العراق كان (إيران بره بره والعراق حره حره) وهو تحد لخطة تقسيم العراق وتأكيد على أن الشعب العراقي مازال متماسكاً ولحمته لم تضعف رغم كل الكوارث ، ولهذا فإن ما يجب لفت نظر السيد قنديل إليه هو أن الانقسام الطائفي والعرقي مقتصر على الأحزاب السياسية وعلى الدعاية الإعلامية المعادية للعراق ولم ينفذ إلى البنية العضوية للعراقيين .

ولابد من التنبيه إلى أن أطروحة زوال العراق الذي نعرفه التي وردت في مقال السيد قنديل (نعي العراق) هي ذاتها أطروحة الغرب ! ، فقد نشرت مجلة تايم الأمريكية في العام ٢٠١٥ على غلافها خارطة العراق وكتبت داخلها (نهاية العراق) وهي تبدو كأنها مقدمة يكملها عنوان مقال السيد قنديل (نعي العراق) فهناك في مجلة التايم (نهاية العراق) وفي مقال السيد قنديل الذي جاء بعدها نجد التكملة الطبيعية والأخطر وهي (نعي العراق) ، بعد (نهايته) المفترضة أمريكياً ودعائياً ، لأن النعي لغوياً ومنطقياً لمن مات وانتهى وليس لمن مازال حياً ولهذا فإن مجرد اختيار السيد قنديل عنواناً لمقاله ينعى العراق هو ترويج لموت وانتهاء العراق وهي حالة لم تقع وفشلت كل المحاولات لفرضها بالقوة ! ، هل من الضروري التذكير بأن مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (CIA) جون برينان أكد في العام الماضي أن العراق وسوريا انتهيا وهو ما قاله أيضاً قادة عسكريون أمريكيون ؟ .

الأمر إذن ليس مجرد رأي كاتب مصري بل توجه غربي صهيوني ينفي وجود العراق وسوريا أيضاً ويدعو للاعتراف بذلك ، ورغم أننا نصلي لله كي لا يحدث في مصر ما يحدث في العراق وسوريا واليمن وليبيا فمن الضروري لتوضيح مخاطر ما طرحه السيد قنديل أن نشير إلى أنه غداً إذا انتشر الإرهاب في مصر كما خطط الغرب والصهيونية وتجري عملية تطبيقه تدريجياً كما يلاحظ أي مراقب وتتحول مصر إلى حالة تشبه حالة العراق وسوريا واليمن ، هل سينعى السيد قنديل مصر ؟ ، أم انه سيقول أن مصر كالعنقاء ستنهض من جديد وهو ما نقوله نحن عن كل قطر عربي وفي مقدمتها مصر لأن مصر شقيقة العراق الرحمية ؟ ، وأخيراً لابد من التساؤل : لمصلحة من ينفي السيد قنديل وجود أمل ومقاومة لما يجري بتكرار تأكيده على نهاية العراق ؟ ، هل هو إيحاء مباشر بلا جدوى المقاومة ؟ ، هل نسى أنه اعترف بقدرة المقاومة العراقية على الحاق خسائر جسيمة بالقوات الأمريكية ؟ ، لم يوحي الآن بأنها انتهت وليس هناك من سيقاوم وأن لا أمل في المقاومة لأن العراق انتهى ومن ينتهي لا يقاوم ؟ ، المقاومة العراقية تعرضت لسلسلة هجمات دموية وتآمرية أضعفتها وكان آخر فصل هو ظهور داعش وتوليها مهمة محاولة سحق المقاومة العراقية الأصلية والحقيقية لكن هذه الخطة لم تنجح وبقيت المقاومة العراقية بفصائلها الأساسية قوة أساسية في عراق لن يتجه إلى أي خيار بدون تأثيرها الفعال ، وهذا ما كان على السيد قنديل أن يعرفه أكثر من ترديده غير النقدي لأطروحة (انتهاء العراق) وأطروحة (دموية العراقيين) والتي يكررها كلما كتب عن العراق .

Almukhtar44@gmail.com

2 –4–2017